



مفردات الورقة:

أولاً: المقدمة

ثانياً: خصائص الثورة السورية

ثالثاً: إجرام النظام الدولي والإقليمي في سوريا

رابعاً: ماذا يفعل النظام العربي في سوريا؟

خامساً: نوازل الساحات الثورية بلا إجابة

سادساً: الرؤية الاستراتيجية لإدارة الساحات الثورية

أولاً: المقدمة

إن الحمد لله تعالى والصلوة والسلام على رسول الهدى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه مهما اختلف المحللون والدارسون لطبيعة الثورة السورية ومحصلة أرائها بعد خمس سنين من انطلاقتها المباركة فلن يختلفوا على تحديد طبيعة الصراع العقائدي الذي يحكم علاقة الشعب السوري بأعدائه الوالغين في دماء المتشففين بقتل نسائه وأطفاله وشيوخه، وهو أمر يتكرر في علاقة الأمة المسلمة بأعدائها من شرق وغرب ويكتفي أن نقف على الهمجية المشتركة ونمطية القتل التي يمارسها كل من اليهود في فلسطين والأمريكان والإيرانيون في العراق وأفغانستان والروس والإيرانيون في سوريا لكي نذكر قوله عز وجل: (وَمَا نَقْمَدُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) البروج: 8

ولعل من أهم نتائج دروس الأداء الجماعي في شعوب الأمة والجماعات والتيارات فيها خلال خمسة عشر سنة مضت وخصوصاً في ظل محاولة أمريكا إعادة تجليس النظام الدولي على قاعدة القطب الواحد ومنذ أن غزا جورج بوش أفغانستان عام 2001 ثم العراق عام 2003 وعلى ضوء الحقائق التي تكشفت بذلك الغزو، فإن تلك التجارب قد أوقتنا على ثالث نتائج أساسية وهي:

النتيجة الأولى: هي تلك التي تبلورت في ساحة أعداء الأمة أنهم لن يتوقفوا عن الغزو العسكري والاحتراق الأمني وعن تعاقونهم وتكاملهم في ضرب الأمة ونهب ثرواتها، وقد كان ذلك واضحاً في تكامل الأداء الأمريكي بفرقائه النظام الدولي وكذلك بقوى النظام الإقليمي في المنطقة وخصوصاً المشروع الصوفي الذي فاز بالعراق كمكافأة له في تكامله مع المشروع الأمريكي الجديد.

النتيجة الثانية: هي تلك التي تبلورت في ساحة النظام السياسي العميل الذي يحكم الأمة نيابة عن أعدائها، فقد ذهبت تلك الأنظمة في التجاوب مع الغزو العسكري كل مذهب فقد وظفت خزائن الأمة التي سرقتها وفتحت مطاراتها وأجوائها لضرب أفغانستان والعراق واحتفلت بسقوط بغداد على أيدي مغول العصر وأرسلت سفراً لها ليكرسوا الواقع الجديد، ودعمت العمالء الجدد في كابل وبغداد بكل أنواع الدعم.

النتيجة الثالثة: هي تلك التي تبلورت في ساحة أداء الأمة الكلي فقد تبين أن حراك الشعوب فيها إنما هو سعي جمعي للانعتاق من معادلة الغاثية والوهن التي ضربت أطناها في جنبات الأمة منذ أن سقطت مرجعيتها وغضائها السياسي قبل مائة عام، وعليه فإن اختلاف التصورات والمشاريع للخروج من هذه الغاثية إنما يُعبر عن تلك الأزمة وعمقها، وتبيّن بأن مخرج الأمة الطبيعي أمام ما يفرضه نظام تداعي الأمم عليها هو الحراك السياسي والجهادي، مهما ادعى عملاء القمع العربي بأنهم يحاربون الإرهاب، كما تبيّن بأن عِظَم التضحيات في ساحات الثورة العربية والساحة السورية على وجه الخصوص تناسب مع عظم النتيجة المتواخدة من انعتاق الأمة من معادلة الغاثية والوهن وهي مرحلة لا بد من استيفائها زمناً وجغرافياً وعلى مستوى الأمة كلها فلن يخرج السوريون من الغاثية وحدهم ويبقى الخليجيون وغيرهم من شعوب الأمة يرذلون تحت أثقالها.

وفي هذه الورقة وقوف مع المعادلات التي أثرت في الثورة السورية وعلاقة ذلك بوضع الأمة الكلي ثم محاولة رسم الاستراتيجية التي يحتاجها قادة الثورة السورية في هذه اللحظة الدقيقة والحساسة من تاريخها.

ثانياً: خصائص الثورة السورية:

تشترك الثورة السورية مع بقية ثورات الربيع العربي في بعض الخصائص وتفترق عنها في البعض الآخر، ويمكن الوقوف على خصائص الثورة السورية في المسائل التالية:

1. تأخذ الثورة السورية خصيصةٍ منهاً وتميزتها الأساسية من سمات أرض الشام كونها أرض الملاحم والجهاد والرباط إلى يوم القيمة بحسب ما ورد في الصحيح عنها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ فَسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلَحَمةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمْشَقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ).

وهذا يعني أن الثورة السورية هي نقطة التقاطع لكل ساحات الصراع مع مشاريع الأمم المتداعية على الأمة من جهة ومشروع الأمة الكلي من جهة أخرى، وهي مؤشر النجاح والفشل الأساسي لمشروع الأمة، مما يجب تركيزاً واهتماماماً مضاعفاً من قبل كل المعنيين بشأن الأمة وحرماتها ومقدساتها ومستقبلها.

1. كما تعتبر الشام المؤشر الرئيس على نجاح الأمة في إدارة الصراع بسبب وقوع أخطر رموز الصراع فيها وهو بيت المقدس فهي تمثل المساحة الأكبر لأكناف بيت المقدس، وهي المهد الحقيقي لمرتکز المشروع الصليبي المتمثل في المشروع الصهيوني ودولة الكيان المسلح، خاصة وأن المشروع الصهيوني هو محل إجماع ودعم من كل المشاريع المتداعية على الأمة والمشاريع التي تولدت في ظلها وخاصة المشروع الصفوی.

2. وتقود معركة الشام الصراع في الأمة ليس بسبب مميزاتها الجيوسياسية فقط وإنما بسبب التزامن بين معركتها والمعارك الأخرى في الأمة وما يتولد عن هذه المعارك من نقض المظلة السياسية التي أسسها الصليبيون الجدد متمثلة في النظام السياسي العربي أو الملك الجبري بحسب ما ورد في أحاديث النبي صلی الله عليه وسلم.

3. ومن دلائل التزامن بين المعارك في ساحات الأمة وتكاملها، وارتباط ذلك بالفشل السياسي للأنظمة العميلة ما ورد عنه صلی الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (مَنْعَتِ الْعَرَاقُ دَرْهَمَهَا وَقَفَّيْزَهَا، وَمَنْعَتِ الشَّامُ مُدَيْهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنْعَتِ مَصْرُ إِرْبَهَا وَدِينَارَهَا، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَشَهَدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هَرِيرَةَ وَدَمُهُ).

4. فإن المدقق فيما حدث منذ عام 2001م وحتى يومنا هذا يجد تزامناً وتنابعاً في سقوط العراق وسوريا ومصر في دائرة الفشل السياسي والاقتصادي والأمني وبنفس الترتيب الزمني الذي ذكره الرسول صلی الله عليه وسلم.

5. ويعني ذلك أن الأمة عند حدوث هذا الأمر ستمر بحالة من التجديد الكلي والنهاية التي تتشابه مع نهضتها الأولى على يد النبي صلی الله عليه وسلم ومن تبعه من الخلفاء الراشدين في الفتح والظهور.

6. ويتمثل التطور الخطير الذي قادته الثورة السورية في استجابتها السريعة والشاملة للصراع المسلح الذي فرضه النظام عليها، فهو تطور غير مسبوق سواء من حيث ردة الفعل المتمثلة في المواجهة المسلحة مع النظام السياسي العربي متمثلاً في الحاكم النصيري، وما سوف يترتب على ذلك من صيرورة الثورة العربية عموماً، وكذلك من حيث الأعداد الهائلة التي ساهمت في الأداء الثوري المسلح وما ترتب عليه من صناعة جيل مجاهد وبإعداد تخطت عشرات الألوف وبخبرة في أحدث أنواع الحروب وهي حروب المدن والقتال وسط الناس.

7. وبذلك فقد فتحت الثورة السورية والثورة الليبية الباب واسعاً لأي تداعٍ ثوري قريب في بقية الدول العربية والتي تشتهر في نفس عوامل ودوافع الثورة لدى الشعوب وخصوصاً في مصر.

8. وقد كشفت الثورة في الشام عن حقيقة كبرى في الصراع وطبيعة المعادلات التي تحكم الأمة وعلاقة شعوبها بمن يحكمهم، وهي أن المعركة في المقام الأول معركة الأمة مع نظام تداعي الأمم ومشاريعها المتسلطة على المنطقة فلم يقف الأمر بمواجهة الشعب السوري للنظام القمعي الذي يحكمه وإنما سارعت القوى الحقيقة إلى النزول في الميدان وبالترتيب الإقليمي أولاً وهو المشروع الصفوی فلما فشل نزل البعد العالمي متمثلاً في المشروع الروسي.

9. كما مثلت الثورة السورية امتداداً في مواجهة المشروع الصفوی بعد العراق، وهددت بذلك العمود الفقري للمشروع الصفوی متمثلاً في سوريا وإذانا بخروجها عن نطاق هيمنته وسيطرته، مما يمهد لسقوط ذريع ونهائي للمشروع الصفوی ليس فقط في مناطق نفوذه وإنما في عقر داره إيران.

10. كما أعطت الثورة السورية من خلال صمودها وقدرتها على الاستمرار لخمس سنوات بافتتاح زمن جديد من مصالحة الأمة لأعدائها بالرغم من تناصرهم واجتماعهم، وقدرة الجيل الجديد الذي يقود الصراع على التعامل طويلاً المدى مع

المشاريع المتداعية على الأمة وامتصاص موجات الضغط الشديدة والمتابعة من تلك المشاريع.

11. ونتيجة لمركزية الشام والثورة على أرضه فقد قادت هذه الثورة إلى تداخل وتشابك كبير في أحوال الأمة وفرقائها وقضاياها وكشفت عن مستوى الترابط البنيوي والجوهرى الذي يربط مصير الأمة الكلى بعضه البعض، وفتحت بذلك الباب واسعاً لعولمة الأداء الإسلامي وكسر الحدود المفروضة على شعوب الأمة وقضاياها الكبرى، ولعل أحد أهم الانعكاسات لهذه الصفة في الثورة السورية انعكاسها على القضية الفلسطينية، فقد أنهت مسيرة طويلة وغامضة من الدجل الذي كان يمارسه المشروع الصفوى بادعائه تبني القضية الفلسطينية والجهاد في فلسطين، فلما تم اختباره في سوريا إذا به يكشف عن وجهه القرمطي الكالح وسفكه للدماء على أساس الهوية السنوية العقائدية وليس بناء على ما يدعى من محاربته لليهود؟

ثالثاً: إجرام النظام الدولي والإقليمي في سوريا

لا يمكن الوقوف على حقيقة أداء النظام الدولي وفي ظله النظام الإقليمي في الثورة السورية من خلال استعراض أداء هذا النظام في السنين الخمس من عمر الثورة، بل نحتاج إلى رؤية المراحل التي سبقت الثورة بكثير ونمطية أداء النظام الدولي واستخدامه للنظام الإقليمي حتى نتمكن من قراءة دقيقة وتقدير لمستقبل ذلك الأداء.

وسوف أدرج في استعراض تاريخ أداء النظام الدولي والإقليمي ومحطاته الأساسية ووصولاً لوقتنا الحالي من خلال ما يلي:

1. هناك أربع مساطر تاريخية حددت علاقة النظام الدولي والإقليمي بالثورة العربية وبالثورة السورية على وجه الخصوص:

أما المسطرة التاريخية الأولى فتبعد قبل مائة عام وبالتحديد عند سقوط بيت المقدس وعموم الشام تحت الاحتلال الصليبي عام 1917 م متمثلاً في بريطانيا وفرنسا، فمنذ ذلك الوقت استقرت معادلة محددة تم على ضوئها صناعة الواقع السياسي للعرب وللأمة المسلمة كلها، ففي ظل تلك المعادلة اكتشف الغطاء السياسي للأمة متمثلاً في الخلافة العثمانية وفي ظلها تم إقصاء الدين الإسلامي والشريعة عن واقع الأمة، وفي ظلها تم حضانة وتأسيس النظام السياسي العميل الذي حكمها ولا زال منذ مائة عام، وفي ظلها تم تقسيم الأمة إلى كانتونات وقطع عبر اتفاقية سايكس بيكيو وتم استيلاد النظام الملكي، وفي ظلها تم تأسيس القطيعة العرقية والشعوبية بين أبناء الأمة، وفي ظلها تم حضانة المشروع الصهيوني وتسليمه فلسطين بالتدریج، وما يهمنا في علاقة النظام الدولي والإقليمي بالثورة السورية الحقائق الثلاث الأساسية

الحقيقة الأولى: وقع المنطقة تحت النفوذ الصليبي الغربي الذي ورثه أمريكا في بريطانيا وفرنسا وهي منطقة نفوذ خالص لا تقبل القسمة بالنسبة لهم.

الحقيقة الثانية: الالتزام الصليبي الغربي بحماية الكيان الصهيوني، وكون هذا الكيان يعني تماماً بإدارة شؤون المنطقة في ظل تفوقه الاستراتيجي.

الحقيقة الثالثة: تكامل الأداء والدعم بين المشروع الصليبي المهيمن وبين الكانتونات والمحليات التي أنشأتها اتفاقية سايكس بيكيو وخاصة ما سمي بدول الطوق المحيطة بالكيان الصهيوني وسوريا في مقدمتها.

المسطرة التاريخية الثانية: فتبعد قبل سبعين عاماً عند انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 م وتأسيس الأمم المتحدة وإعلان نظام الخمسة الكبار الذين وضعوا أنفسهم فوق البشرية، وبدء نظام الحرب الباردة وكانت محطات تلك المرحلة ثلاث محطات أساسية، المحطة الأولى هي حرب فيتنام والتي سقطت أمريكا في براثنها وقام المعسكر الشرقي متمثلاً في الاتحاد السوفيتي والصين بدعم الثوار الفيتนามيين حتى هزموا أمريكا، وأما المحطة الثانية فهي الحرب الفرنسية الجزائرية

والتي قدم فيها الجزائريون ملابس الشهداء حتى هزموا فرنسا ولكنهم لم يتمكنوا في فرض نظام سياسي ذي سيادة حيث فرضت عليهم فرنسا في اتفاقية إيفيان وقامت بترتيب مستقبلهم السياسي واستمرار الوصاية عليهم مع إعلان استقلال شكري، ثم جاءت المحطة الثالثة وهي اصطدام الشعب الأفغاني المسلم بالاتحاد السوفيتي الملحد، حيث قدم الأفغان مليون ونصف شهيد وملابس المهرجين ولكن النتيجة تاريخية ويزن الأرض حيث وفي مدة عقد من الزمان أضطر الجيش الأحمر أن يسحب قواته منهاما من أفغانستان ولكي تنهار دولته على إثر ذلك فأصبح أثراً بعد عين، وقد ترتب على هذه المحطة أثراً مهماً أما الأول فهو دخول الأمة المسلمة إلى ساحات الصراع الدولي من أوسع الأبواب وانتشار روح الجهاد وسريانها في بلاد المسلمين، وأما الأثر الثاني فهو التحفز والتخوف الذي أظهرته أمريكا والدول الصليبية من نتائج الجهاد في أفغانستان وبدء تطبيق خطة تجفيف المنابع ومنع انتشار الروح الإسلامية في كل مكان في العالم وخاصة العالم العربي وتكتيل أجهزة الاستخبارات العربية بهذه المهمة، وقد صبغت هذه الاستراتيجية ربع القرن الأخير منذ عام 1992م.

المسطرة التاريخية الثالثة: وهي التي تبدأ عام 1990م بإعلان سقوط الاتحاد السوفيتي وأنهيار هيمنته العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية وقد استمرت هذه المرحلة إلى عام 2010م وأما محطاتها الرئيسية فهي:

المحطة الأولى: التمثيلية التي قادتها أمريكا بإغراء صدام لاحتلال الكويت في 2 أغسطس 1990 ثم بشن حرب عالمية عليه وعبر تجنيد الدول النصرانية الحليفه وعدد كبير من الدول العربية كان على رأسها دول الخليج، وقد تبين أن تلك الحرب التمثيلية إنما كان سببها هو الرغبة الجامحة لدى أمريكا بتدشين مرحلة سد الفراغ الذي خلفه سقوط الاتحاد السوفيتي وبدء تطبيق نظام القطب الواحد.

المحطة الثانية: تمدد المشروع الصهيوني وركوبه موجة الفراغ وتعاونه مع أمريكا وبالتالي فتحت له أمريكا أبواب المنطقة والتعاون معه، بالرغم مما أنتج له فائدتين كبيرتين، تمثلت الأولى في بدء تدشين سلسة مفاعلاته النووية عام 1995م ثم بتسليميه العراق في مرحلة تالية.

المحطة الثالثة: ارتفاع موجة الأداء الجهادي في الأمة لكي تشمل موقع مختلف كالشيشان والبوسنة وكشمير وطاجيكستان وإرتريا والفلبين ولكن كان من أهم المواقع التي ارتفعت فيها وتيرة الأداء الجهادي هي فلسطين، حيث حقق الفلسطينيون توازن رعب مع الكيان الصهيوني عبر العمليات الاستشهادية، وقد تفاعل شعوب الأمة إيجابياً مع هذا التطور عبر الدعم المالي والإعلامي والدعوي، فما كان من أمريكا إلا أن صعدت من عملياتها الأمنية والسياسية الموجهة ضد الأداء الجهادي في فلسطين، فكان ميلاد اتفاقية أوسلو لضبط الشارع الفلسطيني المجاهد بيد السلطة الفلسطينية وتعاونها مع اليهودية، وقد شهدت هذه المرحلة تصعيدها كبيراً في التعاون الأمني الاستخباراتي ضد الروح والأداء الجهادي، خاصة بعدما شهدت الساحة الأفغانية ولادة جماعة طالبان الأفغانية وجماعة القاعدة ونجاح أمريكا في استقطاب تحالف المجاهدين السابق وتحريكم باتجاه قتال طالبان.

المحطة الرابعة: وقوع حادث 11 سبتمبر 2001 واستغلال أمريكا لها لإعلانها غزو أفغانستان عسكرياً وتدشين المرحلة الثانية من تطبيق نظام القطب الواحد عالمياً، حيث تمكنت أمريكا لأول مرة في تاريخها من النزول العسكري في آسيا الوسطى والتي كانت حديقة خلفية للاتحاد السوفيتي ومنطقة محاذية للعملاق الصيني، ثم أتبعت أمريكا غزو أفغانستان بغزو العراق عام 2003 في ذات السياق لكي تجبر العالم على قبول وفرض سياسة الأمر الواقع، ولكن حدث ما لم يكن في حسبان الأمريكان وهو بدء jihad ضدهم في أفغانستان والعراق، وانكشفت القدرات العقائدية والنفسية الحقيقة للجيش الأمريكي بغض النظر عن إمكاناته العسكرية اللوجستية والبشرية، ولكي تنتهي هذه المرحلة بسقوط مدوٍ لنظام القطب الواحد

الذي عملت أمريكا لثبيته عشرين عاما، ولكي تستغل روسيا والصين هذا السقوط للعودة القوية مرة أخرى للساحة الدولية.

المسيطرة التاريخية الرابعة: وهي التي تبدأ بالثورة العربية في نهاية عام 2010م في تونس وامتداد شرها لكي تصيب خمس دول وتسقط وتزلزل خمسة من أصنام النظام العربي خصوصا في مصر وسوريا، ولكي تهدد الثورة كافة منظومة الحكم التي تم تجليسها قبل مائة عام وإن كان الشق المباشر والمتأثر بالثورة هو الشق الجمهوري، وعلى إثر اشتعال الثورة العربية ولدت في ظلها ثورة مضادة قادتها أمريكا وتولت كبرها دول الخليج وكان في مقدمة المتعاونين السعودية والإمارات والكويت حيث ضخت هذه الدول المليارات لدعم العمليات الأمنية والعسكرية والإعلامية التي استهدفت ضعف الثورة وقادتها ووضع خطوط حمر تحول دون وصول الثورة إلى تحقيق نصر سياسي حقيقي والحلولة دون المساس بأركان النظم الأمنية المتاجرة في بلاد الربيع العربي، وقد طبقت أمريكا في ظل الثورة المضادة عدة استراتيجيات كان من أهمها:

أ - العمل على إلغاء أية شرعية اكتسبها قادة الثورة سواء في المجال السياسي أو العسكري أو الفكري.

1. شرعنة العملاء الجدد ودفعهم للتموضع في النظام السياسي الجديد.

2. ج - إبقاء الشعوب تحت هيمنة الخوف والجوع، وتوسيع نطاق عمليات القتل وسفك الدماء.

3. د - اللعب بمسألة منح السلطة ومنعها ومصطلح الشرعية تمهدًا لصناعة النظم السياسية الجديدة.

4. ه - استراتيجية الاحتواء المزدوج لقيادات الثورة وتياراتها عبر تقديم الوجوه التي تظهر تعاونها ودعمها للثورة بل وتمويل أطرافاً محددة فيها، وتقديم الوجوه الشديدة العنيفة التي تعمل على ضرب وإجهاض الثورة.

وقد استخدمت أمريكا وأولياؤها أدوات وآليات كثيرة لتحقيق الاستراتيجيات بدء من الانقلاب العسكري والاختراقات الأمنية وشراء الولاءات، ومروراً بطرح المبادرات وانتهاء بقتل واغتيال وسجن قادة الثورة ورموزها.

ويمكن الاستفادة من هذا المخطط في تلخيص المساطر التاريخية والزمنية التي حكمت الأمة منذ مائة عام:

1. العوامل الجديدة التي غيرت من المعادلات المستقرة:

العامل الأول: عامل الثورة العربية وتميز مصالح الأمة العليا:

فمع نشوب الثورة العربية المباركة ونجاحها المبدئي بإسقاط أخطر رؤوس الحكم في العالم العربي فقد اتضحت بأن ثمة عامل خطير قد دخل على المعادلات المستقرة في منطقة الشرق الأوسط خصوصا في ظل وحدة البواعث التي فجرت الثورة العربية في جميع دول العرب والمسلمين من قمع وفقر وتفريط النظام العربي في مصالح الشعوب والأمة العليا، لذلك فقد كانت الثورة مرشحة للانتشار كما تنتشر النار في الهشيم.

وكان من نتائج الثورة والثورة المضادة تميز الصنوف وانقسام الساحات إلى مسار منحاز ومؤيد للثورة على مستوى النخب والجماهير حتى تحول هذا المسار إلى تيار عريض في الأمة سواء في الساحات الثورية أو الساحات الباردة، ولكن النتيجة الأخطر في ظل الثورة العربية هو ما أفرزته الساحات الثورية من كتل مقاتلة وجهادية وخصوصا في سوريا ولibia وبدرجة أقل في اليمن لكنها على الطريق وتمسك تلك الكتل بالسلاح والأرض وفابليتها للحياة ومواصلة الصراع مع وضوح في الأهداف وعدم قدرة النظام الدولي وأولياؤه على حرف هذه الكتل عن مسارها العام.

كما يُعد تكسر مفردات المصلحة الوطنية في كل ساحة ثورية وتراجع السقوف القطرية من الآثار الإيجابية للثورة العربية

بسبب فشل تلك المفردات في حفظ وحماية حُرمات الشعب الواحد في القطر الواحد فضلاً عن حُرمات الأمة ككل، بل وقيام أخطر الأجهزة الوطنية والمُعدة أصلاً لحماية الشعب بتجيئه أسلحتها ونيرانها لصدر شعبها وسحقه بلا رحمة كما حصل من كل جيوش وأجهزة أمن بلاد الربيع العربي، وقد أدى هذا التطور إلى ذهاب جماهير الأمة لتلمس وإعادة تعريف المصالح العليا وتمييزها عن مصالح النظم القمعية والحاقدة بسقوط الأمة ومصالحها العليا وإن كان هذا المستوى لا يزال بحاجة إلى خدمة علمية وتربيوية وإعلامية.

ومن النتائج الإيجابية والتغيير الواضح الذي أحديته الثورة العربية وصراعها مع الثورة المضادة هو انحياز أصحاب الأداء السياسي وما أطلق عليه بالإسلام السياسي لساحة الثورة والقبول بمعطيات الصراع سواء على المستوى القطري وبدرجة أقل على المستوى الدولي، مما هيأ الساحة للتجاوب مع الصراع المفترض على الأمة بدرجة أكبر ولعل نموذج الإخوان المسلمين في مصر وإصرارهم على مواصلة الانحياز للثورة وفي النموذج التركي الذي تحول إلى غطاء استراتيجي للثورات العربية ومتنفسها الأساسي خصوصاً للثورة السورية، ففي تلکما النموذجين مؤشر على التغيير الذي دخل على ساحة الصراع وخصوصاً في ظل التهديد الذي فرضته الثورة المضادة على الساحة التركية ومحاولة إقصاء حزب العدالة والتنمية عن المشهد السياسي وتجاوزها هذا الأخير مع التحديات التي فُرضت عليه، ولكن يبقى السؤال: **ما هو المدى الذي يمكن أن يذهب إليه تيار الإسلام السياسي في تصور وإدارة هذا الصراع؟**

وبسبب أن النظام السياسي العربي قد تأسس على اتفاقية عمرها مائة عام وهي اتفاقية سايكس بيكو والتي كانت تعبر عن اتفاق وتوافق النظام الدولي فإن تزلزل المنطقة العربية يعني تزلزل النظام الدولي ومعه النظام الإقليمي، ولذلك فقد أعطى نشوب الثورة العربية إشارات خطيرة في كل الاتجاه فقد مسّت الثورة الهيمنة الغربية لأمريكا وأوروبا، وباستعمال الثورة في سوريا بعد مصر وهما أهم دولتين من دول الطوق فلم يكن المراقبون بحاجة إلى دلائل أخرى لكي يجمعوا على أن الثورة تحولاً يهدّد المشروع الصهيوني تهديداً وجوياً، ولم يكن المشروع الصفوی بعيداً عن أشقاءه من الصليبيين والصهاينة فقد كان على موعد ينسف كل تمدد حصل عليه على المستوى الإقليمي والعالمي لأن اشتعال الثورة السورية قسم العمود الفقري لهذا المشروع واضطرره للدخول في صراع لم يكن يحسب حسابه أبداً وكشف وبالتالي عن وجهه القرمطي وعقيدته الحقيقة تجاه الأمة المسلمة فتفقق ينتهك كل حرماتها بصورة لا ينافسه عليها إلا الاتحاد السوفيتي الملحد في تاريخه الأحمر الدامي وكذا الكونيكالية الفرنسية التي قتلت الملايين من الجزائريين.

العامل الثاني: حاجة المشروع الصفوی لحماية مناطق نفوذه في المنطقة العربية

فقد نشأت حاجة المشروع الصفوی تلك في ظل عامل الثورة العربية التي هددت مناطق نفوذه في المنطقة العربية واضرته للدخول في حرب متعددة الجبهات، وبالتالي حاجة لتأمين الغطاء الاقتصادي والدولي لحربه وممارسته للقتل الموسّع فاضطر أن يذهب للملف النووي لكي يستخدمه للتفاوض واستغلال حاجة المشاريع المتقطعة في المنطقة لكي يتفاهم معها على أدوار ومناطق نفوذه وتعاون، خاصة وأن أمريكا لا تزال تلعب معه ألعابها القدرة في العراق لكي تحصل منه على تنازلات واضحة ومحددة في الملف النووي، فتأسست على هذه الحاجة لدى إيران تسريع المفاوضات النووية.

العامل الثالث: العجز المشترك بين المشروع الصليبي والمشروع الصهيوني والمشروع القمعي العربي

فإن الثورة العربية قد وسعت من جراحات هذا الثالوث بتهديدها للأنظمة العربية المستقرة وإمكانية انتقالها من ساحات الجمهوريات إلى ساحات الملكيات، وعدم قدرة المشروع الصهيوني على حسم معركته مع الفلسطينيين وبقاء خيار المقاومة حاضراً لديهم وتوسيعهم من البنية التحتية للحرب في غزة فلم يعد هذا المشروع بأحسن حال من حلفائه، وزاد من

عجز هذا الثالوث خروج أمريكا من أفغانستان وال العراق مهزومة وغير قادرة على إدارة المنطقة بنفس التحفز الذي أشعلت به حرب عام 2001م في أفغانستان وحرب 2003م في العراق وعدم استعدادها أبداً للمشاركة بقوات على الأرض وهذا بدوره دفع بحاجة هذا الثالوث إلى تبادل المظلات الأمنية في المنطقة مع المشروع الصوفي، ونتيجة لنشوء هذه الحاجة في ظل الثورة العربية والعجز الأمريكي فقد سرعت أمريكا من دفعها للملف النووي الإيراني لكي تتحقق به إنجازاً عاجلاً وملحاً.

العامل الرابع: الفرصة المواتية للمشروع الروسي القيصري للعودة إلى نظام القطبية المتعددة

فقد أتاح تطور الأحداث في ظل الثورة العربية للمشروع الروسي المعدل قيصرياً لكي يعود إلى نظام القطبية الدولية مكتسحاً كما يكتسح التسونامي ومنتقماً من الإهانات التي لحقته من المشروع الغربي الأمريكي والأوروبي وتهديد مناطق نفوذه حتى وصل إلى أوكرانيا وتعدها إلى جورجيا وأرمينيا،

وعليه فقد استغل المشروع الروسي الفرصة استغلالاً استراتيجياً تمثل في أربعة مسارات:

أما المسار الأول: فهو استغلال حاجة المشروع الصوفي للإسناد والدعم في الملف النووي لتحقيق أفضل الشروط الممكنة أمام المفاوضات الغربية، واستغلال حاجته أيضاً للإسناد السياسي والعسكري في الساحة السورية.

وأما المسار الثاني: فهو استغلال حاجة الحلفاء الغربيين والمشروع الصهيوني في إدارة الثورة المضادة والتحديات التي نشأت في ظل الثورة العربية خاصة الثورة السورية، ولذلك رأينا هذا الاستغلال تحقق بقفزة الروس العسكرية وتوسيع وجودهم في سوريا وكوئنهم المرجعية الثانية الرئيسية مع الأميركيان في إدارة الأزمة السورية وترتيب أوراقها.

وأما المسار الثالث: فهو استغلال الروس لحاجة المشروع الصهيوني الماسة والشديدة لبقاء نظام بشار الأسد ومنع تطور الثورة السورية باتجاه تحقيق أي إنجاز لصالح الشعب السوري والأمة المسلمة، خصوصاً في ظل العزوف الأميركي عن التدخل العسكري وتكرار سيناريو أفغانستان والعراق.

وأما المسار الرابع: فهو استغلال الروس لإرباك السياسي والأمني في النظام الدولي نتيجة لعامل الثورة العربية وانكشف المظلة الأمنية الأمريكية في الشرق الأوسط وتمثل هذا الاستغلال في القفزة الروسية العسكرية في الشرق الأوكراني واقتطاع جزيرة القرم الاستراتيجية لصالحهم وتكريس هذا الوضع مع مرور الأيام وتحويله إلى فرض أمر واقع، ولا أنسى أن أشير هنا إلى وجود التناقض والتفاهم الصيني الروسي في خلفية أزمات الشرق الأوسط مما حقق دعماً وتشجيعاً للحرك الروسي، وهذا يذكرنا بحقيقة وثابت من ثوابت العلاقات الدولية وهو التنافسية الشديدة بين المعسكر الشرقي والغربي بل العداء المستحكم الذي يحاول الفرقاء أن يبقوه في دائرة الحرب الباردة أو ما بقي منها خوفاً من الانزلاق لحرب كونية.

العامل الخامس: الاستراتيجية التي يحاول الغرب (أمريكا وأوروبا) تطويرها لمواجهة تلك العوامل مجتمعة

والتي لم تكن لتتطور في هذا الاتجاه لو لا نشوب الثورة العربية، **فما هي مؤشرات الاستراتيجية التي تتبعها أمريكا وخلفها أوروبا في التعامل مع تلك العوامل:**

المؤشر الأول: استثمار التفوق الاستراتيجي الذي تتمتع به أمريكا وأوروبا والموقع المتميز لها نتيجة لتحكمها بالأدوات الدولية والإقليمية التالية:

• الأداة الأولى: منظمة الناتو وقدراتها البشرية والتكنولوجية والعسكرية.

• الأداة الثانية: منظمة الاتحاد الأوروبي بقدراته الاقتصادية والبشرية والتكنولوجية وموقعه الجيوسياسي والمؤسسات التابعة

له كمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي وغيرها.

- الأداة الثالثة: التحكم في مسارات الأمم المتحدة وأدواتها ومؤسساتها كمجلس الأمن والسكرتير العام والمبوعين الدوليين وغيرها.
 - الأداة الرابعة: التحكم في منظومة الحكم العربي والإسلامي وخصوصاً النظم الملكية في الخليج بما تملكه من أجهزة أمنية متكاملة مع المنظومات الأمنية الغربية وبما تملكه من فوائض مالية وما تمثله من موقع الإسلام الرسمي والتزامها التام بالاستراتيجية الأمريكية على مدار العقود الطويلة الماضية.
- المؤشر الثاني:** امتصاص الفشل العسكري الأمريكي وانتهاء فرصة تطبيق نظام القطب الواحد واستبداله بالأداء الأمني والاختلافات وتوظيف العلماء والأجهزة الأمنية الحليفة، واعتماد نظريات المكر والدهاء في إدارة الأزمات والصراع كاستراتيجية التي تعتمد其a منظمة الناتو في إدارة واستثمار الأزمات، ونظرية جدوى القوة التي أرساها الجنرال البريطاني روبرت سميث عام 2005م والنظريات التي ولدت في ظلها، واستخدام التطور الهائل في نظريات السيطرة والتحكم العسكري والأمنية وإدارة التعقيد الهائل في الصراع كنظرية (C4i) Command, Control, Communications, Computers, and Intelligence المطبقة في الصراع العسكري والسيطرة على نتائجه.

المؤشر الثالث: امتصاص التمرد الروسي واحتواء عودته القوية إلى ساحة القطبية الدولية واستغلاله لحاجة المشروع الصوفي، واستبدال الصراع المباشر معه في أوكرانيا عبر تحويل مسارات الصراع إلى ساحة الشرق الأوسط وخصوصاً ساحات الثورة العربية وساحة الثورة السورية على وجه الخصوص، وإشعار الدب الروسي بالرضى النفسي بأنه أصبح مؤثراً على الساحات العالمية مع إضمار أمريكا وأوروبا استراتيجية التوريط المتدرج وهو ما أطلق عليه بالخطة بـ أثناء الجدال حول التنسيق والتفاهم الروسي الأمريكي في سوريا، وتستخدم أمريكا أدواتها وحلفائها في النظام العربي لتحقيق هذه الاستراتيجية ولذلك لعب حكام الخليج دوراً واضحاً ومبالغاً فيه عندما أظهروا الاقتراب الشديد من الدب الروسي وإنفائه بالعقود العسكرية وشراء الأسلحة بينما كانوا يسربون رسائل مدروسة باتجاه تحقيق الاستراتيجية الأمريكية.

المؤشر الرابع: تطبيق استراتيجية الاحتواء المزدوج في إدارة المشروع الصوفي من خلال إعطاءه فرصة كاملة للممارسة التفозд في المنطقة وتقاسم النفوذ مع الكيان الصهيوني خصوصاً في الجناح العربي الشرقي، معبقاء سيف الاستنزاف العسكري المستمر فوق رأسه في كل من العراق وسوريا واليمن ويمكن أن ينتقل الاستنزاف إلى لبنان ورفع وتيرة العداء بين إيران وجيرانها العرب وخصوصاً الحكومات الخليجية وذلك بحسب تحسن الأداء والاستجابة الإيرانية وخضوعها للأجندة الأمريكية أو الاقتراب الجيد منها.

المؤشر الخامس: استيعاب وتبرير الثورة العربية في جميع الساحات التي نشبت فيها عبر الاستراتيجيات الأربع التي ذكرتها سابقاً، مع الحرص على عدم انتقال الثورة العربية لساحات جديدة والاستعداد لمرحلة طويلة من معاقبة الشعوب الثائرة والتدرب في بناء الأنظمة العميلة الجديدة، وتخدير الشعوب بين الخضوع للأنظمة العميلة أو البقاء تحت التهديد الأمني الذي تفرضه داعش المسيرة أمنياً، مع إمكانية الذهاب إلى تقسيم بلاد الربيع العربي وتفتيتها إلى كانتونات بحسب المعطيات العرقية والطائفية، مع تكليف النظام العربي بإدارة الثورة المضادة عسكرياً وأمنياً وسياسياً وإعلامياً واقتصادياً.

المؤشر السادس: إعادة إنتاج النظام السياسي العربي بشقيه الملكي والجمهوري مع التركيز على الشق الملكي ويتم ذلك عبر عدة استراتيجيات من أهمها: إسناد كامل من قبل النظام الملكي للنظم الجمهورية المتداعية على المستوى السياسي والاقتصادي والأمني، وعبر توظيف الصراع الذي فرضه المشروع الصوفي على الأمة بادعاء النظام الخليجي بأنه هو المعنى بمواجهة التهديد الصوفي وأنه قد تكفل بحماية السنة، واتخاذ النموذج اليمني مادة للدعابة بهذا الاتجاه بينما هو لا يفعل أكثر

من الضربات الدوارة ودون حسم على الأرض ويُلعب باستراتيجية الاحتواء المزدوج مع المشروع الصوفي فهو يحاربه هناك ويصالحه ويتوافق معه هنا، وهو يُلعب معه لعبة العداء والصداقة في آن واحد كما تفعل الحكومة الإماراتية والعمانية وكما بدأت تغازله الحكومة السعودية مؤخراً.

المؤشر السادس: تجهيز التحالف الإسلامي العسكري كبديل عن الغياب العسكري الأمريكي والأوروبي في المنطقة واستخدامه في كل الاتجاهات ومنها تجهيزه لأي انتزاعات ونشوب حرب غير محسوبة، وتكييفه بترتيب وحصار الساحات الثورية وإدارة الكانتونات التي ستنشأ عن التفاهمات الدولية.

المؤشر الثامن: استهلاك جميع المتنافسين في المنطقة في دورة صراع عسكرية وأمنية واقتصادية طويلة المدى لا تخسر فيها أمريكا رجالها ولا دولاراتها.

المؤشر التاسع: الحفاظ على استراتيجية استهلاك بيتي للحراك الجهادي وضرب بعضه ببعض عبر الاختراقات الأمنية وبمساعدة الأجهزة الأمنية العربية واليهودية والإيرانية والروسية فهذه نقطة مصلحة مشتركة تجمعهم، وهذا الذي يفسر حرص الجميع على عدم اختفاء داعش من الساحة بل وتهيئة الظروف لبقائهما واستمرارها.

المؤشر العاشر: عدم السماح لتيار الإسلام السياسي بتحقيق أي إنجاز في مسيرته خصوصاً بعد أن تماهى مع معطيات الثورة واستثمرها لتحقيق تحول سياسي حقيقي في بلاد الربيع العربي، ومن هنا كان العقاب الدولي والإقليمي لجماعة الإخوان المسلمين المصرية وفروعها في العالم العربي ووضع خطوط حمراء حولها ووصمها بالإرهاب، وقد امتدت هذه الاستراتيجية لتشمل النموذج الناجح الوحيد الذي يمثل تيار الإسلام السياسي وهي الحكومة التركية بقيادة حزب العدالة والتنمية خصوصاً بعد فشل كل المحاولات لضرب هذه الحكومة من الداخل وبقيت المحاولات دفعها للصراع العسكري الذي بدأ فعلاً عبر إشعال الجبهة الكردية وعبر توريطها بالصراع العسكري في سوريا ومن ثم إمكانية إشعال حرب إقليمية بينها وبين روسيا وإيران.

المؤشر الحادي عشر: الاتفاق النووي الذي عقدته أمريكا مع المشروع الصوفي برعاية الخمسة الكبار بالإضافة إلى ألمانيا، والذي يمكن وصفه بـ«مقدمة لسايكس بيكيو جديدة» بعد مضي مائة سنة على اعتمادها، وتهلهل كل العوامل التي شكلتها وخاصة النظام العربي ومؤشرات سقوطه، وبالرغم مما تم إعلانه من جوانب الاتفاق النووي لكن جميع المراقبين يقررون بأن هناك ملاحقاً سرية متعلقة به لم تر النور لحرص جميع الأطراف على كتمها.

ويمكن توقع أبعاد تلك الملحق السريّة فهي على العموم تتعلق بالمسائل التالية:

1. مساحات النفوذ التي أعطتها المنظومة الغربية للمشروع الصوفي خصوصاً في العالم العربي.
2. التفاهم الرئيسي بين الأقطاب الكبار في الاتفاق وفوائد كل منهم خصوصاً أمريكا وروسيا.
3. تأمين المشروع الصهيوني والحفاظ على مساحات نفوذه وكونه يأتي فوق المشروع الصوفي في المنطقة.
4. إقرار المشروع الصوفي بأحقية وتاريخ الوجود والهيمنة الأمريكية في المنطقة وعدم لعب أية أدوار تؤثر سلباً في الهيمنة الأمريكية خصوصاً عند نشوب الحروب.
5. التفاهم على إدارة مناطق الثورة العربية وتحديد الأدوار التي سيلعبها أطراف الاتفاق في تعويق وتبديد هذه الثورة.
6. نصيب كل طرف من الكانتونات التي سيتم تأسيسها في المرحلة القادمة كالعراق وخصوصاً المنطقة الكردية.

7. ضمان دور وحقوق الأقليات الشيعية في العالم العربي.
8. الأدوار الأمنية والتنسيق بين جميع الأطراف لإدارة اللعبة الأمنية والاختراقات في العالم العربي والسنوي.
9. توزيع الأدوار بين الأطراف في ضرب البنية العقائدية والأخلاقية في جزيرة العرب فيما يسمى بالتيار الوهابي السلفي والجهادي.
10. توزيع وإدارة ثروات المنطقة بين أطراف الاتفاق.

رابعاً: ماذا يفعل النظام العربي في سوريا؟

بالرغم من إجماع المراقبين على أن نشوب الثورة العربية جاء كردة فعل من قبل الشعوب على تراكم القمع والعبودية وسرقة واحتياط الثروة من قبل نظام القمع العربي فلا يزال الفرقاء من قادة الثورة مختلفين على توصيف وتحديد طبيعة وحقيقة الدور أو الأدوار التي يلعبها النظام العربي مجتمعاً ومنفرداً في ساحات الربيع العربي منذ نشوبها قبل خمس سنوات! ولأن طبيعة الورقة لا تتيح البحث المفصل في هذه القضية فسوف أسلك أسلوب الأسئلة التي تثير القضايا الكلية المتعلقة بشؤون الأمة ومصالحها العليا وموقع النظام العربي فيها:

السؤال الأول:

هل يمكن التعويل على نظام الحكم في العالم العربي والإسلامي كله أو بعضه (الملكي دون الجمهوري) في أيامنا هذه على رعاية المصالح العليا للأمة وحفظ حرماتها؟

مناقشة السؤال:

لقد أهدى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسطرة لقياس حال الأمة الكلي على مدار التاريخ وهي تلك التي توصفُ وتحدد علاقة الأمة بالنظام السياسي الذي سوف يحكمها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وإلى مراحل متاخرة ومتطاولة في التاريخ ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: كنا جلوساً في المسجد فجاء أبو ثعلبة الخشناني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمռاء، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبة.

فقال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جباراً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت).

وروى الحديث أيضاً الطيالسي والبيهقي في منهاج النبوة، والطبراني، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وحسنها الأرناؤوط.

والحديث الآخر في الصحيحين عن حذيفة هو: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: (إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم

وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاء على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بأسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن بعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

ويكاد يجمع العلماء والباحثون المعاصرن بأن المرحلة السياسية الحالية في الأمة هي مرحلة الملك الجبري لانطباق الصفات التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ومنها:

الصفة الأولى: دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

الصفة الثانية: هم من جلدتنا ويتكلمون بأسنتنا.

الصفة الثالثة: (من حديث آخر) صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأنثاب البقر يضربون بها الناس. وبالتحقيق في الفروق بين الخلافة الراشدة والملك العضوض من جهة والملك الجبري من جهة أخرى فقد تبين أن تلك الفروق واضحة لا لبس فيها وهي:

الفرق الأول: أن فترة الخلافة والملك العاض لم يُصرف فيها الولاء عن وجهه الشرعي وهو الولاء لله ورسوله والمؤمنين، بينما وقع الملك العاض في الولاء لأهل الكتاب.

الفرق الثاني: أن فترة الخلافة والملك العاض كان مستقلًا استقلالاً تاماً عن تدخل الكفرة في شأن الأمة السياسي، بينما خضع الملك الجبري خضوعاً تاماً لهم.

الفرق الثالث: أن فترة الخلافة الراشدة والملك العاض كانوا ملتزمين بمرجعية الشريعة في تصريف شؤون الأمة كلها، بينما اعتمد الملك الجبري قوانين الغرب والشرق وغل الشريعة عن العمل لا كما فرض الله تعالى على عباده.

الفرق الرابع: أن فترة الخلافة الراشدة والملك العاض استخدما الجهاد لحفظ حرمات الأمة فلم يعطلاه بل لم يوقفا الفتوح شرقاً وغرباً، بينما قام الملك الجبري بتعطيل الجهاد ومعاقبة من ينادي به بأقصى أنواع العقوبات.

الفرق الخامس: أن نظام الخلافة الراشدة والملك العاض كانوا مؤهلين لنظر في المصلحة العليا للأمة واتخاذ القرارات التي تترتب على ذلك النظر، بينما أصبح الملك الجبري عريباً من كل قدرة وتأهيل لنظر في المصلحة العليا للأمة بل أصبح حرباً على الأمة ومصالحها والتغريب في مقدساتها.

الفرق السادس: لم تفرق الخلافة الراشدة والملك العضوض بين الأمة لا على أساس العرق ولا الجغرافيا وبقي سقف الأمة الكلي هو الأساس لصلتها وعلاقتها ببعضها البعض، بينما تأسس الملك الجبري على تبعيض الأمة وتقسيمها على الأساس الوطني والعرقي والجغرافي فلم تتمكن الأمة من نصرة بعضها البعض وبقي العدو يعيث فيها فساداً وهي مستسلمة ومقطعة.

فكيف يمكن للنظام العربي القائم ملكياً كان أم جماهيرياً في ظل تلك المناقشة أن يقوم برعاية المصالح العليا للأمة؟

السؤال الثاني:

هل تاريخ النظام السياسي العربي يؤهله لحفظ حرمات الأمة وإدارة قضائها الكبرى؟

مناقشة السؤال:

يمكن تقسيم تاريخ النظام السياسي العربي إلى مرحلتين لا تخطئهما العين.

المرحلة الأولى: هي مرحلة تأسيس الشق الملكي من النظام الجبري والذي اتضحت معالمه بداية القرن العشرين عندما

وقع السلطان عبدالحفيظ في المغرب اتفاقية فاس مع فرنسا عام 1912، ثم تبع ذلك إعلان بريطانيا حسين كامل سلطاناً في مصر وتبعه اتصال بريطانيا عام 1914 بكل من الشريف حسين وعبد العزيز آل سعود والذي أسفرا لاحقاً عن تأسيس إمارة شرق الأردن وإمارة نجد والحجاج.

واستمرت هذه المرحلة إلى بداية الخمسينيات من القرن العشرين حيث بدأ إعلان استقلال تلك الملكيات.

المرحلة الثانية: هي التي دفع فيها الإنجليز والفرنسيون عمالءهم من العسكر للانقلاب على بعض الملكيات خصوصاً في الموضع الحاسم والاستراتيجية في الأمة ذات الحضور التاريخي والحضاري والبشري وهي العراق وسوريا ومصر والجزائر حيث تبني أولئك العسكر العقيدة الاستراكية المعدلة عربياً كالبعثية والناصرية.

فما هو تاريخ هذه النظم طوال القرن العشرين:

المحطة الأولى: سقوط بيت المقدس والشام تحت الصليبيين الجدد وأصطدام النظام العربي الوليد معهم حتى أن قوات فيصل بن الحسين كانت مسؤولة عن حماية ميمنة الجيش البريطاني وهو يقترب فلسطين ويستولي على القدس.

المحطة الثانية: انتهاء الحرب العالمية الثانية وحرص أمريكا وبريطانيا وفرنسا على تثبيت دعائم الحكم الملكي العربي والبدء في بناء جيوشه وأجهزة أمنه وعقيدته، وتأسيس مرجعيته الجماعية متمثلة في جامعة الدول العربية كقطاء لكل سوءاته وتفريطه في حقوق الأمة بغض النظر عن خلافاته.

المحطة الثالثة: إعلان قيام الكيان الصهيوني عام 1948 م والدور الخيانى الذي لعبه النظام العربي منفرداً ومجتمعاً بالظهور بالدخول في حرب لتحرير فلسطين وقد كانت حرباً تحريكية حتى تبلغ الشعوب العربية مرارة ولادة الكيان المنسخ على أرض فلسطين حيث كانت جيوش العرب بقيادة البريطاني جون باجوت جلوب أو جلوب باشا، وعندها أعلنت الأنظمة العربية قبولها بالهدنة لفتح المجال لولادة إسرائيل.

المحطة الرابعة: استكمال سقوط القدس بيد اليهود عام 1967 م في حرب شكلية لم تكلف الكيان الصهيوني إلا بضعة أيام لكي يسيطر اليهود على القدس ومرتفعات الجولان وشبه جزيرة سيناء، ولكن يتهاوى الحلم الكاذب الذي كان يسوقه النظام العربي وهو وهم المشروع العربي، ولكن يستكمل ملوك ورؤساء العرب تمثيليتهم في اجتماع جامعة الدول العربية بالخرطوم متضامنين في التسلیم والتفریط بالقدس.

المحطة الخامسة: الحرب التحريرية بين مصر والكيان الصهيوني عام 1973 والتي نتج عنها اتفاقية كامب ديفيد والصلح مع اليهود، حيث ظهر النظام العربي بمقاطعته للنظام المصري ثم تتابعوا على طريقه في مرحلة تالية، فقد أسنّد النظام الملكي شقيقه الجمهوري فيما يخص الاعتراف بالكيان الصهيوني والمضي في طريق التطبيع معه عبر ثلاث مبادرات وهي: مبادرة الأمير فهد عام 1981 م والتي اعترفت بحق إسرائيل في الوجود، ثم مؤتمر مدريد الذي حضرته دول الخليج ممثلة في أمين عام مجلس التعاون الخليجي عام 1991 م واستكملت اعترافها بالكيان الصهيوني، ثم مبادرة الأمير عبدالله عام 2002 م في مؤتمر بيروت واعتماد جامعة الدول العربية لها والتي تأسس عليها لاحقاً إدخال الجهاد الفلسطيني في ححر السلطة الفلسطينية وإغلاقه عليه منذ عام 2006 إلى وقتنا هذا.

المحطة السادسة: المشاركة في تمثيلية دخول صدام إلى الكويت عام 1990م والتي افتعلتها أمريكا لاستثمار سقوط الاتحاد السوفيتي وإعلان نفسها كوصية وحيدة على العالم، وقد لعب النظام السياسي في الخليج أوضاع وأقوى الأدوار في خداع الأمة واللعب بمشاعرها ووضع الفتيا في خدمة الدجل السياسي، وقد ترتب على هذه المحطة دخول إيران في التحالف الأمريكي واستثمارها للتحولات في النظام الدولي باتجاه مد نفوذها وإحكام سيطرتها على المنطقة.

المحطة السابعة: محطة خطة تجفيف المنابع التي سلطتها أمريكا على العالم العربي والعالم الإسلامي على الخصوص إثر الخوف والهلع الذي ركبهم نتيجة نجاح المجاهدين الأفغان من شطب الاتحاد السوفيتي من الوجود عبر تجديد روح الجهاد في الأمة، فعمدت أمريكا إلى إعادة إنتاج النظريات الأمنية والأجهزة الأمنية التي تحكم المسلمين عبر استهداف كل ما من شأنه أن يبذر الدين في نفوس النشء الجديد فتم إغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتأميم بعضها ومصادرة المساجد ومنع خطبائها وغل وتوقيف الهيئات الخيرية وملائحة الجماعات الدعوية والتربوية ومعاقبة المتعلقين بالأداء الجهادي وتسليط كل ألوان الأذى عليهم من جاكرتا إلى الرباط، وكان للنظام العربي نصيب الأسد في تطبيق تلك النظريات وتكامل أداء الأجهزة الأمنية العربية.

المحطة الثامنة: محطة 11 سبتمبر 2001 والتي استخدمتها أمريكا للعبور إلى نظام القطب الأوحد بشكل مباشر بعد أن مضى على سقوط الاتحاد السوفيتي عقد كامل دون أن تتمكن أمريكا من إحداث نقلة حقيقة في مشروعها بتجاوز التعديدية القطبية في النظام العالمي، وقد كان للنظام العربي نصيب الأسد في الوقوف خلف أمريكا بكل أنواع الدعم العسكري والاستخباراتي والمالي والسياسي وخصوصا الدعم الاستخباراتي حيث تحولت سجون النظام العربي إلى سجون سرية سوداء وفرت كل متطلبات التحقيق والتعذيب والقتل والترحيل التي كانت تتطلبها أمريكا.

المحطة التاسعة: محطة احتلال العراق وسقوط بغداد عام 2003م والتي قادت إلى افتتاح عهد جديد من القتل وسفك الدماء حيث بلغ عدد قتلى العراق مليون ونصف قتيل وبلغ عدد المهجرين من ديارهم عشرات الملايين، وتم تسليم العراق هدية لإيران فتكامل المشروع الصفعي واتصل من حدود باكستان إلى لبنان، واستخدمت مطارات دول الخليج كلها في ضرب العراق واستخدمت أمريكا أنواعا من الأسلحة المحرمة دوليا ومنها أسلحة اليورانيوم المنصب الذي أسهم في تشويه الأجنة في بطون أمهاتهم عدا الآثار الخطيرة على البيئة العراقية، وعندما اشتعلت المقاومة والجهاد ضد الوجود الأمريكي في العراق ساهم النظام العربي في حصار العراق وانحاز للعدو الأمريكي ومنع تعاطف ودعم الشعوب العربية لل العراقيين بل ووضع كل من قام بدور تطوعي شعبي في دعم العراقيين في السجون حتى بلغ عدد السجناء عشرات الألوف كما هو الحال في السعودية.

المحطة العاشرة: محطة الثورة العربية التي اشتغلت نهاية عام 2010م وتمكنت في وقت قياسي من زلزلة وإسقاط خمسة أصنام كبرى من أصنام النظام العربي، وكانت أمريكا وأوروبا بطبيعة الحال أول من تفاعل مع التحدي الذي فرضته الشعوب العربية في بلدان الربيع العربي فبدأت سيناريوهات الثورة المضادة بالتشكل وكان للنظام العربي نصيب الأسد فيها حيث انقسم أداؤه إلى:

1. **تمويل المؤامرات الأمنية والإعلامية والدراسات الفكرية** التي تسعى لإجهاض الثورة العربية وقد أسهم النظام العربي وخصوصا الخليجي في كل الأدوات والآليات التي تم تطبيقها ضمن استراتيجيات الثورة المضادة وهي: الانقلاب العسكري – الغزو العسكري والضربات الجوية – المبادرات السياسية – التمويل الفنزويلا – استخدام المنظومة الدولية لإجهاض الثورات – اللعب على تناقضات الثوار – الاختراقات الأمنية وصناعة جماعة دولة العراق والشام (داعش) لضرب الجهاد

من الداخل – إعطاء إيران الضوء الأخضر للقتل في سوريا والعراق – قتل واغتيال قادة الثورة – إثارة العرقيات والقبليات والجهويات – معاقبة المهاجرين عبر إهمالهم والتشديد عليهم كنموذج لبنان والأردن – اللعب بموضوع نزع ومنح السلطة.

2. يقوم النظام العربي بالتدخل في الساحات الثورية عبر استراتيجية الاحتواء المزدوج والتي تضمن تحرك الثورة في مسارات محددة لا تخرج عنها، واستخدام الأدوات التالية لتحقيق تلك الاستراتيجية: توزيع الساحات الثورية على أكثر من حكومة بحيث تتولى كل حكومة شرائح ثورية خاصة بها وترتبطها عبر التمويل وضباط المخابرات، وبالتالي وعبر التحكم في التمويل يتم التحكم في القرارات العسكرية والمعارك الحاسمة ورسم الخطوط الحمراء للتحرك العسكري، كما يحدث في الثورة السورية عبر التواصل الاستخباراتي كشف المعلومات الدقيقة لكل فصيل ونقلها لغرف العمليات التي تشرف عليها المخابرات الأمريكية وهم غرفتان (mom) وتعمل على الأرضي التركية و (moc) وتعمل على الأرضي الأردنية.

3. ومن التطبيقات في هذا المجال هو إظهار بعض حكومات النظام العربي الوجه الجميل والمتعاون مع الشرائح الثورية وخصوصا ساحة الثورة المصرية ويكون الهدف هو الامتصاص المتدرج لطاقاتهم الثورية وتبريدهم المتدرج بوعود تلو الوعود، وإظهار عدم الرضا بما تقوم به سلطات الانقلاب في مصر بينما هم في الحقيقة يعطون الانقلاب العسكري فرصته الكاملة لكي يثبت نفسه وهيمنته على البلاد.

4. ومن التطبيقات في هذا المجال هو إظهار التعامل الفظ والشديد مع بعض الشرائح الثورية كالإخوان على وجه الخصوص لأنهم أخطر كتلة ثورية في مصر، ووضعهم على قوائم الإرهاب وملاحقتهم وتشديد الهجوم الإعلامي عليهم وكل ذلك يهدف إلى كسر إرادتهم ودفعهم إلى اليأس الكامل من المسار الثوري كما فعل بهم النظام السعودي أيام الملك عبد الله وكما يفعل بهم نظام محمد بن زايد في الإمارات.

5. كما يوظف النظام العربي علاقاته تلك بساحات الثورة السورية للتأثير في الأداء السياسي للثورة السورية واعتماد استراتيجية الفصل بين المسار السياسي والمسار العسكري وإدارة كل مسار بمعزل تام عن الآخر، وتنقل الملف السياسي بين قطر وال السعودية مع تدخلات أردنية وإماراتية بحسب ما تقتضيه الحاجة، والنتيجة تحكم النظام العربي وخلفه النظام الدولي في الساحة الثورية السورية وعدم إعطاء أهلها أي فرصة لتحقيق اخترق لا على المستوى العسكري فضلاً عن المستوى السياسي، والأدهى من ذلك استخدام دماء وتضحيات السوريين لتحقيق نقاط تفوق على المعسكرون وهو المعسكر الروسي وفي ظله الإيراني، وإخضاع الشعوب لعقوبات طويلة المدى حتى تنتهي عن مسیرتها بطلب الحرية والكرامة وبالتالي السيادة السياسية والاستقلال الحقيقي.

6. جند النظام العربي كل طاقاته وعلاقاته بالنظام الدولي لإفساد الساحات الثورية العربية ومنها تقدمه بالمبادرات التي تهدف إلى اخترق الساحات الثورية ومن أهمها المبادرة الخليجية في اليمن والتي أدت إلى بلبلة الثورة اليمنية وإنقاذ النظام من السقوط وفتح المجال على مصراعيه للعب بفرقاء الساحة اليمنية وإعادة توظيفهم، وقد صبت المبادرة الخليجية لصالح الحوثيين والتدخل الإيراني في اليمن وسمحت لأمريكا أن تستخدم التورط الإيراني العسكري في اليمن لصالح المفاوضات النووية كأحد أهم أوراق الضغط عليها، بل وفتحت المبادرة الخليجية الباب واسعاً لإعادة تقسيم اليمن بين شمال وجنوب ووسعـت من إعطاء الخطة الأمريكية الأمنية مبرراتها الكاملة للتدخل في اليمن بحجة ضرب القاعدة.

7. كما يعمل النظام العربي بنظام الحملات الدعائية الموسمية التي تهدف إلى تبريد الساحات الثورية عبر إعلان المواقف النارـية والمنـحازـة إلى الثورة والتي تعطي انطباعاً بأنهم قاب قوسين أو أدنـى من التدخل العسكري لصالح الثورة سواء في سوريا أو العراق، حتى تبردـ الحملـة والانتـقال إلى حملـة أخرى وهـكـذا.

8. الجمع بين التعاون الظاهري مع الثوار والتواصل مع أعدائهم في آن واحد، فلا يجد الثوار إلا الوعود بينما يجد الأعداء التفاهم التام والعقود الاقتصادية والعسكرية بbillions الدولارات كما حدث من الاتصالات الخليجية بالحكومة الروسية وهي تدرك السوريين بكلفة أنواع الأسلحة الثقيلة والطائرات وتلغي مكاسب الثوار التي حققها خلال خمس سنوات من التضحيات التي قاربت نصف مليون شهيد سوري، وكذلك في الساحة اليمنية وفي الوقت الذي ظهر فيه السعودية التصلب تجاه الغزو العسكري الإيراني لليمن تواصل سلطنة عُمان والإمارات مع العدو الإيراني ظاهراً وباطناً لكي يلعبوا مجتمعين هذه الأدوار المزدوجة والتي انعكست سلباً على الساحة الثورية اليمنية فلا تزال صناعات تحت يد الحوثي ولا تزال تعز تحت الحصار الحوثي دون مدد منهم بينما تسارع الإمارات لتعزيز مكاسبها في الجنوب وكأنها سلطة احتلال.

9. مارس النظام العربي مجتمعاً ومنفرداً نفوذه وتدخلاته في ساحات الثورة العربية للحفاظ على المكونات الأساسية للحكومات الساقطة وخصوصاً الجيش والأمن كما حصل في مصر وللحافظة على ما يسميه بالشرعية في اليمن ويعني به بقايا نظام الطاغية علي عبد الله صالح مع خلطه ببقايا النظام الشيوعي في اليمن، وكما حدث في ليبيا من دفع أحد أكثر رموز القذافي تشوهاً لكي تقدمه كرمز للشرعية التي يريدونها في ليبيا.

10. لعب النظام العربي دوراً داعماً ومسانداً لكل التدخلات الدولية التي تقودها أمريكا في ساحات الثورة العربية وخصوصاً عبر المبعوثين الدوليين، بل وصل الأمر بالإمارات إلى التدخل المباشر والصريح ورثوة المبعوث الدولي إلى ليبيا (ليون) لكي تطمئن إلى فساد دوره في الساحة الليبية.

الخلاصات الأساسية في أداء النظام العربي:

1. استحالة أن يسمح النظام العربي بحصول الشعوب على حريتها السياسية وإعادة صياغة نظمها السياسية سواء حاولت الشعوب الوصول إلى أهدافها عبر السلمية أو الثورة الشعبية.

2. استحالة أن يسمح النظام العربي للشعوب بالتحكم في ثرواتها الاقتصادية ومحاسبة الحكومات عليها.

3. استحالة أن يسمح النظام العربي برفع حالة القمع المستشرية في المجال الأمني السياسي.

4. استحالة اقتراب النظام العربي من المصالح العليا للأمة وخدمتها، بل هو أقرب إلى ضربها والاصطفاف مع الأعداء ضدّها.

5. يفرق النظام العربي تفريقاً تاماً في أدائه السياسي بين مصالحه العليا لأنظمة وبين مصالح الأمة العليا، ويقدم مصلحته ولو تعلقت بشخص الملك أو الجنرال على كل مصالح الأمة العليا، ولا يرى أي عضاضة في موت الملايين من أبناء الأمة مقابل تتمتعه بالبقاء والميزات الذي يمنحها له النظام الغربي.

6. استحالة أن يذهب النظام العربي في شوط مواجهة المشروع الصوفي إلى نهايته بعد أن تعاون مع الأميركيان في تسليم العراق لإيران عام 2003م.

7. استحالة أن يلعب النظام العربي أية أدوار مستقلة عن النظام الإقليمي والنظام الدولي فهو ولد تابعاً وسيموم تابعاً مُستَعبدًا.

خامساً: نوازل الساحات الثورية بلا إجابة

تحولت الثورة السورية من فرصة تاريخية بالنسبة للأمة إلى ساحة إرباك وتأخير لأدائها العام، بسبب انعكاس الخلاف في

الاجتهادات الإسلامية على هذه الساحة انعكasa سيئاً وحاداً إلى الدرجة التي ضاعفت من قدرات الأعداء وأعطتهم فرصة لتجاوز التضحيات العظيمة التي قدمها الشعب السوري المسلم من شهداء وجرحى وسجناه ومهاجرين ومحصورين، بل واللعب بتلك التضحيات لصالحهم.

وما كان لتلك الفتنة أن تحل بالساحة السورية إلا بسبب تخلف الاعتصام بحبل الله المتيين، وإهمال عمق الأمة واستحضاره في عملية المدافعة.

وفيما يلي استعراض للنوازل التي صنعتها خلاف الجماعات الإسلامية في ساحات الثورة العربية عموماً وفي الساحة السورية خصوصاً، وهي نوازل تراكمت على نوازل سابقة متولدة من إفساد وسيطرة مشاريع تداعي الأمم على الأمة وتعمقت بسبب انكفاء عموم أبناء الأمة عن المشاركة الفاعلة في دعم القضية السورية بكل أنواع الدعم خصوصاً الدعم العلمي الشرعي والاستشاري بكافة أنواع الخبرة والعلوم:

النازلة الأولى: تضارب وتناقض اجتهادات الجماعات الإسلامية في كل ساحة ثورية من ليبيا إلى اليمن مروراً بسوريا والعراق، وخصوصاً في سوريا حيث سعت كل جماعة لاستغلال الثورة السورية في تحقيق مشروعها وتتصورها وسعها لسبق بقية الجماعات، وقد تحولت المنافسة بينهم إلى تنافس مذموم لم يقف عند التدابر والخصوصة بل أتاحت الفرصة لسفك الدم الحرام، وتفریغ الدفع الكلي في المعركة وتحويله إلى صراع أعنان العدو أياً عون، ولم يكن ذلك ليحدث إلا لمحودية وتراجع الفهم في تصور المشروع الإسلامي الكلي في الأمة وبقاء التصورات المنغلقة لدى كل جماعة لزمن طويل دون إعادة النظر الكلية فيها ودون استصحاب التجارب ووضعها في ساحة مراجعة كلية.

بينما تحركت مشاريع الأمم المتداعية على الأمة وهي تستصحب مصالح عليا لأممها التي تمثلها وتستهدف غايات محددة، وزاد من تعقيد الموقف أنه مع التناقض الذي يحرك كل مشروع من مشاريع تداعي الأمم لكنها وضعت نصب عيونها هدفاً مشتركاً وهو منع الأمة المسلمة من تحقيق أي تمكين على الأرض.

النازلة الثانية: عدم وجود تصور لكيفية استثمار الثورة العربية كآلية تغيير تتجاوز آليات الجماعات في التغيير ولم يسبق حدوثها بهذا الزخم والقوة والصبر على تقديم قوافل الشهداء، وتتصل هذه النازلة بعدم حسم الجدال حول طبيعة علاقة الجماعات المجتهدة في الأمة بعموم الأمة وخصوصها ومكوناتها من شعوب وقبائل وأعراق وأقاليم وأقطار وعلماء ومفكرين وخبراء وتيارات وجماعات، وقد انعكس غياب هذا التصور على تحديد طبيعة علاقة الجماعات المجاهدة في سوريا بالشعب السوري المسلم ومكوناته وغياب الشورى تماماً عن الساحة السورية بل وعدم الشعور بالحاجة إليها لأن الجماعات تعتبر الشعب السوري مجرد تابع وعليه أن يسير خلفهم دون مراجعة، مما مكن الأعداء أن يتحركوا على هذا الشقاق ويوظفوه في المعركة.

النازلة الثالثة: استشراء الخلاف والصراع حول طبيعة ومراحل وآليات التمكين في ظل الظروف والمعطيات والتجارب التي مرت بالأمة خصوصاً في خمسة وثلاثين سنة مضت منذ اشتعال الجهاد الأفغاني الأول ضد الروس، وهو أمر يتعلق ببلورة اجتهاد واضح المعالم في العلاقة بين الأداء الجهادي والأداء السياسي وكيف يعملان في ظل بعضهما البعض دون تناقض ونقض، وما هو تصور المشروع السياسي الذي ينبغي دعوة الشعوب والأمة إلى تطبيقه، وما الفرق بين الساحات الساخنة والساحات الباردة، وما هي المبادئ والتطبيقات الشرعية للأداء الأمني الذي يسند الأداء الجهادي والأداء السياسي حيث وقع البعض في تقليد أنظمة القمع واستحلال التعذيب وانتزاع المعلومات والاغتيال المفتوح وما أشبهه.

النازلة الرابعة: عدم وجود تصور يلم شعث قضايا الأمة المتفرقة في الجغرافيا وبين الجماعات والمتصلة والمتحدة في المكونات الداخلية والعوامل الخارجية المتحكمة فيها، فبينما تثير أمريكا وأولياؤها في النظام العربي ساحات الثورة العربية بنفس السفراء والمعوشيين الدوليين ولللعب بالتمويل والاختلافات الأمنية والقرارات الدولية نجد قيادات كل ساحة ثورية يغلقونها عليهم ويحاولون إدارتها وفق المعطيات التي تحت أيديهم، ولعل في نموذج ملحمة الشام الثقيلة التي تجري في أكناf بيت المقدس خير دليل على ذلك فأهل فلسطين لا يرون لهم أي علاقة بما يجري لهم يديرون معركة القدس في ظل حدود سايكس بيكي التي قسمت الشام إلى كانتوناتها الحالية.

النازلة الخامسة: عدم وجود أي توازن بين المنهج الذي يدعو للتجاوب مع الظروف الدولية والإقليمية وبين المنهج الذي يدعو للصلابة والثبات وعدم التفريط في ثوابt الأمة، فالمنهج الأول أثبت قدرة أعداء الأمة على توظيفه لصالحهم واستخدامه لإعادة إنتاج الأنظمة الوظيفية مجدداً كما حدث في العراق قديماً وفي تونس حديثاً، والمنهج الثاني لم يتمكن من مراعاة أحوال الأمة واستيعابها المتدرج لعملية الصراع وتوظيف المكاسب مرحلياً، ولم يفرق في الاستهداف بين بعض مكونات الأمة وبين الأعداء الذين نهض لحربهم وخصوصاً تجربة العراق والتجربة السورية من بعدها، ولم يضع تصوراً لكيفية توظيف المكر والدهاء كما يفرضه الشرع الإسلامي لسد الهوة بين قدرات الأمة المستضعفه وقدرات الأعداء، ولم يبق بعد ذلك للمتخاصمين إلا الوقوع في دائرة التخوين والاتهام بين عرفاء الأمة من كلا الفريقين.

سادساً: الرؤية الاستراتيجية لإدارة الساحات الثورية

سوريا أنموذجاً:

الاستراتيجية الأولى: اعتماد آلية الحوار المستمر بين مكونات الأمة وفرقاء الساحات الثورية للوصول إلى الحد الأدنى من الاتفاق وتحصين الأمة وتوقيف النزيف والخسائر البينية.

وذلك تأسيساً على ما أمر الله عز وجل به عباده المؤمنين في إدارة الخلاف والنزاع ومن ذلك:
الآيات التي وردت في فض التنازع وإصلاح ذات البين قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِنَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تأويلاً النساء: 59

يقول الإمام الطبرى في تفسيره: (فإن اختلفتم - أيها المؤمنون - في شيء من أمر دينكم أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم، فاشتجرتم فيه) "فردوه إلى الله" يعني بذلك: فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشتجرتم فيه بينكم، أو أنتم وأولو أمركم فيه من عند الله، يعني بذلك: من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم(انتهى)

وكذا في بقية الأوامر (واعتصموا) (وتعاونوا) (وأصلحوا ذات بينكم) فإنه لا بد من آلية جماعية للتواصل والتفاهم والحوار بين المعنيين في الأمة، فلم ينقد الصحابة رضوان الله عليهم الذين نزلت في شأنهم الآية إلا حوارهم وتأملهم الجماعي للموقف فيما بينهم حتى رجعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما ورد عن علي رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، واستعمل عليهم رجالاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء. قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بل، قال: اجمعوا لي حطباً. ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها. [قال: فهم القوم أن يدخلوها] قال : فقال لهم شاب منهم : إنما فررتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. قال : فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال لهم : " لو دخلتموها ما خرجم منها أبداً: إنما الطاعة في المعروف". أخرجاه في الصحيحين

وعليه فإن اقتصار بحث النوازل على الأعيان والجماعات متفرقين لن يجدي نفعاً ولن يصل بالأمة إلى الاعتصام الكلي، فكيف تعتصم والمعنيون بقيادة هذا الاعتصام شذر مذر!

كما أن قصر الشورى والفتوى والقيادة والمرجعية في فئة واحدة من الأمة لن يقود إلا إلى جعل هذه الفئة وصية على الأمة ومن ثم تتوسل بذلك الوصاية إلى حتمية وقوع المخالفين لها في الردة عن الدين، ولا يقول بهذا قائل فلا مجال لأن تتلبس فئة بلبوس الأمة وتقصّرها عليها ولا مجال لأن تُجبر الأمة على الخضوع لفئة محددة فيها ومتابعة اجتهادها إلا إذا تحول اجتهد تلك الفئة إلى اجتهد للأمة عبر الشورى وإقرار العلماء المعتبرين لذلك الاجتهد.

ومن أهم مطلبات آلية الحوار ووضعها قيد التنفيذ أن يتطلع لأجل تحقيقها ورعايتها ثلاثة من علماء الأمة ورجالها المشهود لهم بالعدالة والتاريخ في خدمة مصالح الأمة وفق منهجية ومشروع يستهدف إصلاح ذات البين وتوفير بيئة الحوار والشورى والتواصل بين فرقاء الساحات الثورية المختلفة ول يكن البدء بالساحة السورية، بشرط أن يتتوفر لهؤلاء المتطوعين الاستقلال عن الجماعات وأن لا يستهدفوا من عملهم إضافة جماعة جديدة منافسة وأن لا يتطلعوا لقيادة وإمارة.

وهناك مشروع مبدئي في هذا الشأن عنونته بمشروع وأصلحوا ذات بينكم يمكن الرجوع إليه في هذا الرابط:

https://docs.google.com/file/d/0BzAPzf_E2o1kTGZKR2NpaTJPOU0/preview?pli=1

الاستراتيجية الثانية: دعم العلماء والخبراء والمستشارين من عموم الأمة للساحات الثورية.

حيث ثبت بأن قيادات الثورة الميدانيين لا يتيح لهم انشغالهم القيام بالمهام العلمية والاستشارية علاوة على سعة الاستشارات المطلوبة والمتصاعدة للميدانيين المختلفة شرعية كانت أم عسكرية أم سياسية وتنظيمية وغيرها.

كما ثبت بأن آلية الجماعات وإنغلاق مساراتها ومحدودية استيعابها للموارد البشرية في الأمة واضطرارها للخضوع إلى نظام الأكاديمية في تقديم قيادتها فإن كل ذلك أدى إلى سلبيتين متوازيتين، السلبية الأولى: محدودية القابلية التخصصية والاستشارية لدى قيادات الجماعات، والسلبية الثانية: بقاء الخبراء بعيدون عن الساحات المؤثرة والساخنة الثورية على وجه الخصوص، مما يقتضي تشبيك هؤلاء الخبراء وفي كافة التخصصات حتى يخدموا الساحات الثورية بشرط أن يتمتعوا بتاريخ من الولاء للأمة وخدمة مصالحها.

وفي نموذج الثورة السورية يمكن أن يرتبط هؤلاء الخبراء بشكل مباشر وغير مباشر بالساحة، فالذين يقبلون الارتباط بشكل مباشر يتزرون بغرف عمليات استشارية فردية وجماعية ويعكسون خبراتهم مباشرة، والذي يقبلون الارتباط بشكل غير مباشر فإنه يتم تشبيكهم عبر مراكز البحث والدراسات وعبر الروابط العلمية المتخصصة لكي يخدموا الساحة الثورية بخبراتهم ومن خلال الأدوات والبرامج العلمية المختلفة من دراسات وندوات وغير ذلك.

الاستراتيجية الثالثة: قيام العلماء والخبراء والمستشارين في الأمة بالإجابة العلمية المُحَقَّقة والعاجلة والمستوفية لشروط البحث والاجتهد في النوازل الكبرى التي تهدد الساحات الثورية والساحة السورية على وجه الخصوص والتي بات الاختلاف عليها يقود إلى تنازع تام فهي تهدد مكتسبات الجهاد والتضحيات الجسمانية التي بذلها السوريون ومن شاركهم من أبناء الأمة، ومن أهم تلك القضايا القائمة التالية (القائمة قابلة التعديل والتحسين والإضافة)

القضية الأولى: تحديد ملامح المشروع الذي تسعى إليه الأمة وتحديد ثوابت ذلك المشروع الذي يمثل عقيدة الأمة ومصالحها العليا وهي تواجه مشاريع تداعي الأمم بحيث تصبح تلك الثوابت في حال الوقوف عليها مؤشرات أداء عام لكل مكونات الأمة في الساحة الدعوية والساحة السياسية الفكرية والساحة الجهادية.

القضية الثانية: تحديد أبعاد ومفهوم المشروع السياسي للأمة من حيث:

1. أصوله الشرعية التي يقوم عليها
2. وتحديد نموذجه بين النماذج الثلاث التي عرفتها الأمة
3. وهي الخلافة الراشدة والملك العضوض والملك الجبري
4. وتحديد علاقته بالمسيرة الجهادية في الأمة
5. وتحديد علاقته بإدارة الصراع مع مشاريع تداعي الأمم
6. وتحديد مراحل تطبيقه الزمنية والجغرافية
7. وكيفية مشاركة مكونات الأمة فيه وحقوقها في ظله
8. والسياسات الشرعية التي سوف يتلزم بها قبل تطبيقه وأثناء تطبيقه
9. وتفكيك الإشكالات التي نشأت في المفاهيم المرتبطة به كمفهوم السيادة ومفهوم السلطة ومفهوم الحرية ومفهوم التعددية ومفهوم فصل السلطات ومفهوم الشورى ومفهوم أهل الحل والعقد ومفهوم ومفهوم الشعب ومفهوم العرفة في الأمة ومفهوم الدستور ومفهوم المواطنة وغيرها من المفاهيم.

القضية الثالثة: بلورة المشروع السياسي والجهادي الذي ينبغي أن يعتمد في إدارة الساحات الثورية من حيث الرؤية الاستراتيجية في الصراع وعلاقة الأداء السياسي بالأداء الجهادي وهيكليته الإدارية ودور مختلف المكونات والشرائح فيه، والقيادة العسكرية والأمنية وكيفية ممارسة الشورى، والقضاء والإدارة المدنية والإغاثية والإصلاح وفض المنازعات..الخ.

القضية الرابعة: تحديد الرؤية والضوابط التي تحكم علاقة الأمة ومكوناتها بالنظم السياسية التي تحكمها منذ مائة عام والوقوف على الشروط الدنيا والتي لا بد أن تتحقق في قيام تلك النظم بمتطلبات المصالح العليا للأمة والحفاظ على حُرماتها، وهل لا يزال في هامش تلك النظم ما يمكن التعويل عليه لحفظ الحُرمات، والتفريق بين أحكام الضرورة وضوابطها في التعامل مع تلك النظم، وكيف يمكن للأمة أن تولد مسارات مرجعية تتجاوز بها تلك النظم وتحدد من أثرها السلبي الذي يصب في صالح أعداء الأمة؟

القضية الخامسة: تحديد الرؤية والضوابط التي تحكم علاقة الأمة ومكوناتها بالنظام الدولي ومفرداته بين المعسكر الشرقي والغربي والنظام الإقليمي وتحديد الآليات التي ينبغي أن تسلكها الأمة في إيقاف فساده وتعديه على حُرماتها، وتحديد أحكام الضرورة وضوابطها في التعامل مع مفردات ذلك النظام، وتحديد طبيعة الخطاب الدعوي والحضاري الذي ينبغي أن توجهه الأمة لشعوب العالم متجاوزة الطغاة الذي يحكمون تلك الشعوب.

القضية السادسة: كيف يمكن للساحات الثورية وقيادات الأمة السياسية والفكرية والجهادية أن تتحرك على التوظيف المعاكس للفوضى والتي تسعى أمريكا بدورها أن تستخدمنها في إرباك أداء الأمة الكلي، وما هي نظريات المكر والدهاء وتركيب المكونات البشرية والجغرافية والاجتهادية في الأمة لكي تلعب أدواراً منسقة ومتكاملة في ظل الدهاء والمكر الذي ينبغي أن يُوظف في الحرب المسلطة على الأمة.

القضية السابعة: كيف يمكن لقيادات الأمة العلمية الشرعية والفكرية والسياسية أن تعامل مع مستوى التعقيد البالغ في الصراع بين المستوى الفكري والسياسي والاستراتيجي والعسكري من حيث تحديث التصورات عن أداء مشاريع تداعي

الأمم ومن حيث ضبط المسيرة الكلية للأمة بغية تحقيق أفضل مستوى من التكافؤ في الصراع مع قادة المشاريع الأهمية والتخفيف من الخسائر والفقد في الأمة.

الاستراتيجية الرابعة: على الداعمين للساحات الثورية وخصوصا الساحة السورية أن يعملوا على تركيز جهودهم في المسارات التالية: إدارة الأزمات وتبادل المعلومات وتأهيل القيادات، وذلك بما يتناسب وطبيعة المعركة والصراع وما يوظفه الأعداء من نظريات وعلوم حديثة، وبما تطلبه سعة المعركة العالمية المفروضة على الأمة وخصوصا في ساحات الثورة العربية، على أن تعمل هذه الاستراتيجية باتجاهين، أما الاتجاه الأول فهو نفع القيادات الميدانية وتزويدهم بالمعلومات ومدتهم بالخبرات في مجال إدارة الأزمات وكيفية مواجهة عولمة الصراع واستخدام مشاريع تداعي الأمم لهذا العلم التطبيقي، والوقوف أولا بأول على تطور الصراع بين مكونات النظام الدولي، وضرورة استثمار التواصل الجغرافي بين الساحات الثورية المتغيرة، وتشبيك القيادات الميدانية في الساحات الثورية المختلفة، وأما الاتجاه الثاني فهو في مجال إعداد القيادات الشبابية الجديدة على هذه الفنون والعلوم المتقدمة في الصراع وتأهيلهم بما يتناسب واحتياجات المعركة ومتطلباتها.

الاستراتيجية الخامسة: استصحاب الرأي العام في الأمة والروح الجمعية لها في الرقابة على أداء الجماعات وخصوصا في الساحات الثورية، واستغلال شبكات التواصل العالمية في هذا الاستصحاب عبر نقل الأحداث والحقائق أولا بأول، ووضع مدونة ومتانق بمعايير الأداء الكلي في الأمة بحيث تقوم تلك المعايير بعملية تقريب تصورات شرائح الأمة المختلفة وجعلها تقترب من صورة ذهنية واحدة في القضايا المختلفة، وعبر تشبيك رموز الأمة المتافقين على رؤية واحدة من العلماء والمفكرين والقادة الميدانيين والمستشارين وتقديمهم للحديث والتعليق في القضايا والأحداث الكبرى.

والله تعالى أعلم،،

مجلة مؤتمر الأمة

المصادر: